بسم الله الرحمن الرحيم

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ ، وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم . »

« صدق الله العظيم »

اقرأ في هذا الكتاب تاريخ تحول تم في فترة تقل عن ربع قرن ، وهو حدث لا نظير له في التاريخ العالمي . إذ ليس هناك مصلح واحد أحدث مثل هذا التغيير في حياة أمة بأكملها ، تقطن بلادا واسعة الأرجاء ، وما من مصلح ألفى قومه يخرون للأذقان سجدا ، مثلما وجد محمد (ص) للعرب ، وليس ثمة أحد سما بقومه مادياً وعقلياً وروحياً إلى الآفاق العليا ، التي أخذ محمد (ص) بيد قومه إلى رحابها . مع أن وثنيتهم كانت على حال من التأصل والاستقرار ، وخرافاتهم وعاداتهم كانت على نحو وثيق من الإحكام والتغلغل وسلطان التسلط . ولكن جهد محمد (ص) ، خلال ثلاث

obeikandl.com

وعشرين سنة . بدلهم تبديلا شاملا ، فأصبحت عبادة الأصنام ، وكل ما عدا الله ، سواء في السموات أم في الأرض ، سبة وعارا في جبين الإنسانية . وانمحت معالم الوثنية في الجزيرة العربية قاطبة ، وتيقظ في الأمة كلها الشعور بالكرامة الإنسانية الحقة ، وأدركت الأمة حماقة السجود للأشياء ، التي خلقت ، ليهيمن عليها الإنسان ويسخرها وللقوى التي يطلب إليه أن يتسلط عليها ويقهرها . ولم يتطهر العربي فقط من الرذيلة والفجور العلني ، بل اندفع ، في رغبة جارفة ، نحو الإتيان بأفضل الأعمال وأنبلها ، في سبيل ما هو أسمى وأعم من الوطن ، وأنبل وأشمل من القومية ، في سبيل الإنسانية . وقد اندثرت عادة الجور على الضعفاء والمظلومين ، كأنما مرت بها عصاة سحرية أحالتها قوانين عادلة معقولة . واختفت الخمر ، التي عكف عليها العرب جميعا ، منذ أزمان سحيقة ، اختفاء تاماً ، بحيث أصبح من غير المألوف وجود الكؤوس ، وأواني الشراب نفسها ، التي كانت تتخذ لاحتساء الخمر وحفظها . وقضى على الميسر ، ودالت دولة الروابط المنحلة بين الجنسين ، مخلية الطريق للعفة ، في أعلى مراتبها . واستحال العربي - الذي كان يعد الجهل مفخرة - إلى مكلف بالمعرفة ، يغترف العلم من كل معين ، حيثما وجد إليه سبيلا . وأكبر من هذا وذلك اقتدار النبي (ص) على أن يخلق من البلاد العربية وحدة مترابطة ، بعد أن كانت شيعا متعددة ، في قتال طاحن مستمر ، بعضها مع بعض ، بما أوشكت به أن تتردى في هاوية الجحيم . فأصبحت الأمة محكمة الروابط ، بفضل ما جاء به الدين الجديد .

ولم يسبق لإنسان قط أن نفخ في أمة مثل هذه الحياة القشيبة، على هذا النسق: حياة تغلغلت في نواحي النشاط الإنساني، انقلاب وتحويل في حياة الأسرة، وظروف المجتمع، وملابسات الأمة، ومطالب الأوطان، وبعث مادي ومعنوي، وعقلي وروحي، على حد سواء.

وصفوة القول، أن النبي (ص)، كان عند لحاقه بالرفيق الأعلى قد خلف وراءه:

١ـ دولة موحدة، لا فضل فيها لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا دين لها إلا الإسلام، دين التسليم لله، جل شأنه، تسليما مقرونا بالإيمان العميق في وحدانيته ورسالة نبيه (ص). ولا فضل فيها بين السلطتين، الزمنية والروحية، على نحو ما كان جاريا في الدول المسيحية. بل كان الأمر موكلا لله ورسوله وللشورى، إذ أن المؤمنين متساوون في كافة الحقوق والواجبات، ولا دستور لهم إلا القرآن، الذي أنزل على محمد (ص)، يهتدون به في أمور دنياهم إلى كل مايصلح آخراهم. وقد اشتمل القرآن على كل أنواع التشريعات ـ الجنائية، والمدنية، والأحوال الشخصية ـ فقد وضح القواعد لتكوين الأسرة، وجعل لكل أطرافها حقوقاً وواجبات. كما وضع القواعد لقيام المعاملات بين المسلمين، غير مهمل ناحية العقيدة والروح، وتغذيتها بما فرضه من: صلاة، وزكاة، وحج، وإبطال للعادات السيئة: كشرب الخمر، ولعب الميسر، والزنا، ووأد البنات، وقتل الأبناء.

٢ـ ووحدة وائتلافاً بين العرب جميعاً، وكفاً عن المنازعات والحروب،

والتجاء إلى الحاكم الأعلى - الله ورسوله وأولى الأمر - وذلك يعني القرآن، وماشرعه، ليسير عليه الحكام في تسيير دفة الأمور.

٣- وامتلاء للنفوس بمبدأ التضحية والفداء، بما أكده لهم إيمانهم بالله، من حيث مقاومة الذين تحدثهم نفوسهم بأن يفتنوهم عن دينهم وجهادهم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله. وهذا هو الجهاد في سبيل الله، ومن قضى فيه، فقد استشهد، والشهداء نزلاء الجنة ونعيمها، الذي جاء وصفه مفصلا في القرآن.

٤- وتطهير العقول من الخرافات والأوهام، وإعدادها للتعلم، وفتح مغاليق العلم والحضارة.

٥- وأمة متحدة متوثبة، يحدوها الحماس للإسلام والوطن، بعد أن راضها النبي (ص) على الإيثار والخضوع لولي الأمر، كائناً من كان. «اسمعوا وأطيعوا، ولو أمر عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة».
وكان هذا أكبر عامل على نجاح الخلفاء، من بعده، في قيادة هذه الأمة إلى النصر في ميادين استكمال وحدتها، وتأديب العصاة والمرتدين، ثم استخلاص دولة عظيمة، تمتد من المحيط إلى حدود الصين، من أيدي الروم وغيرهم، أيام الخلافتين الأموية والعباسية.

وإنا لنرجو أن نكون قد وفقنا في معالجة تاريخ هذه الحقبة القصيرة الخطيرة، معالجة تتفق وعظمة النجاح الذي تكللت به جهود النبي (ص).

ولا يفوتنا قبل ختام هذا التقديم - أن نذكر بالحمد والثناء، التشجيع القيم الذي يلقاه المؤلفون من رجال جامعة البصرة من لدن رئيسهم، الأستاذ الدكتور عبدالهادي محبوبه، الذي لا يألو جهداً،

منذ استقلت الجامعة ، في معاضدة التأليف والترجمة والنشر، معاضدة تفسح المجال للمختصين أن ينتجوا ، في ميادين تخصصهم، الإنتاج الذي يعيد للبصرة مجدها العلمي الغابر، ويجعل من الجامعة الفتية قلعة حصينة للبحث في مختلف العلوم والفنون .

كما نشكر الزميل الفاضل الدكتور محمد أمين رشدي ، المدرس بكلية العلوم ، لتصميمه الجميل لواجهة الكتـــاب . والله (سبحانه وتعالى) ولي التوفيق .

المؤلفان